١

تعريفاتٌ وأُسُس

حينَ أقولُ «المالُ والجنسُ والسلطة»، فما الذي أعنيه بالتحديد؟

ما وجدتُه على مرِّ السِنين هو أن الجهدَ المبذولَ لتعريفِ الأشياءِ، في البداية، يكشفُ دائمًا تقريبًا أن ما اعتقدنا أننا نتعاملُ معه هو مُجرَّدُ طرف جبلٍ جليدي. كنا نظنُّ أننا نتعاملُ مع المال — العملاتِ الورقيَّةِ والعملاتِ المعدنيَّة — ولكن في الواقع، نحنُ نتعاملُ مع الملذَّاتِ والمزايا التي يمكن أن يشتريها المالُ، أو الحالة التي يمكنُ أن تدلِّل عليها الأموال. ومن ثم ندركُ أن هذا ليس القاع، لأن خلف ذلك هو الطمعُ والجشعُ والخوفُ والرغبةُ في الأمان أو الهيبة أو السيطرة. ثم مرةً أُخرى، ليسَ هذا هو القاع أيضًا، لأن الكتابَ المُقدَّس يُعلِّمنا أن هناكَ حقيقةً أُخْرى — حالةُ القَلب — أعمقُ من كلِّ هذه الآثام.

ندركُ — فقطْ من خلالِ محاولةِ تحديدِ ما نتحدَّثُ عنه — أن هذا الشيءَ المُسمَّى بالمالِ أو الجنس أو السلطة يشبهُ جزءًا من جبلٍ جليديٍّ يمكننا رؤيته فوقَ الماء. إنها ليست المشكلة.

مـا نـراه لـن يُغـرقَ قاربنـا. إنهـا تلـك الحـواف الضخمـةُ، المُسـنَّنة مـن الخطيَّـةِ تحتَ خـطِّ المَـاءِ التـي ستضعُ جرحًـا فـي جسم السفينة وترسـلنا إلـى قـاعِ المحيـطِ.

بعـدَ ذلـك، بينمـا كنـت جالسًـا أتأمَّـل فـي تعريفـاتِ المـالِ والجنـسِ والسـلطةِ بمسـاعدةِ بعـضِ الأصدقـاء المُفكِّريـن (حـدثَ هـذا لـي أثنـاءَ إعـدادِ هـذه الفصـولِ مـن الكتـابِ)، أدركـتُ أننـي اسـتخدمتُ للتـو صـورةً تُحـدِّدُ كلَّ شـيءٍ بطريقـةٍ سـلبيَّةٍ تمامًـا، وقـد فاتنـي حقيقـةٌ أكثـرُ تأسيسًـا.

الجبالُ الجليديَّة أم الجُزُرُ العائمة؟

مـاذا عـن الأمـوالِ التـي نسـتخدمها لدعـمِ إرسـالية مـا، أو شـراءِ هديَّـةٍ لصديـق؟ ومـاذا عـن الكَـرَمِ الضمنـي فـي ذلـك؟ ومـاذا عـن القلـبِ الـذي ينتـج ذلـك؟ تنتـجُ الشـجرةُ الرديَّـة ثمـارًا رديَّـة — ولكـن مـاذا عـن الشـجرةِ الجيِّـدة التـي تنتـجُ ثمـارًا جيِّـدة (متـى ٧: ١٦-١٩)؟ لذلـك اتَّضـحَ أن المـالَ والجنسَ والسلطة ليست دائمًا جبلًا جليديًّـا علـى وشـكِ إغـراقِ قاربنـا. قد تكـونُ جُـزُرًا عائمةً مـن الطعامِ عندمَـا تنفـدُ مخـازنُ سـفينتنا، أو وقـودًا عندمـا نتعطَّـلُ فـي المـاء، أو أندرَ فاكهةٍ لتحليةِ نظامنا الغذائي الكئيبِ للإبحارِ.

بعبـارةٍ أخـرى، هنـاك حقيقـةٌ تأسيسـيَّةٌ أخـرى يجـبُ أن نتعامـلَ معهـا وهـي أنَّ المـالَ والجنـسَ والسـلطةَ هـي، منـذُ البدايـة، هِبـاتُ اللهِ — عطايـا اللهِ الجيِّـدة. وإذا أغرقتنـا، فليـسَ لأنَّ اللهَ أعطانـا عطايـا

سـيِّئةً؛ ولكـن لأنَّ شـيئًا مـا قـد حـدثَ بداخلنـا لتحويـلِ هِبـاتِ النعمـةِ إلـى أدواتٍ للخطيَّـةِ، وإلـى مذابـحَ وبخـور فـي هيـكلِ الكبريـاء.

لـذا فـإن أولَ شـيءٍ يتعيَّـنُ علينـا القيـامُ بـه هـو التحـدُّثُ عـن التعريفـاتِ التـي تقودنـا إلـى رؤيـة بعـضِ الحقائـقِ التأسيسـيَّة التـي هـي أعمـقُ بكثيـر — وأكبـرُ بكثيـر — مـن الجبـالِ الجليديَّـةِ الخطيـرةِ أو الكنـوزِ العائمـةِ مـن المـالِ والجنـسِ والسـلطة. هذا ما يدورُ حوله هذا الفصلُ الأولُ — تعريفاتٌ وأُسُس.

ثـم مـن الفصـولِ الثانـي إلـى الرابـعِ، سـوف نُركِّـزُ علـى الأخطـارِ الخاصـةِ بالمـالِ والجِنـسِ والسـلطةِ (الجبـال الجليديَّـة). فـي الفصليـنِ الخامـسِ والسـادسِ، سـنُركِّزُ علـى الكيفيَّـةِ التـي يُخلِّصنـا بهـا الإنجيـلُ مـن الجبـالِ الجليديَّـة، ويُحرِّرنـا للاسـتمتاعِ بالإمكانيَّـاتِ الخاصـةِ (جُـزُرِ الكَنـز) للمـالِ والجنـسِ والسلطة بينما نستخدمها لهدف الحب والعبـادة لمجـد المسـيح. إذن، هـذه هـي الخطـة: تعريفـاتٌ وأُسُـس. الأخطـارُ وكيفيَّـة التغلُّـبِ عليهـا. الإمكانـاتُ وكيفيَّـة نشـرها. حَـدِّد. اغلـب. انشـر.

المال: التعريفُ والأساسُ

نبـدأ بالمـال. النقـودُ، فـي أبسـطِ أشـكالِها، هـي نـوعٌ مـن العمـلات. قـد تكـونُ مـن الـورقِ أو المعـدن؛ فـي ثقافـاتٍ أخـرى، ربمـا مـن الحجـارة، أو فـي ثقافتنـا، تكـونُ فـي سـجلَّاتٍ إلكترونيَّـة. تعمـلُ هـذه العملـةُ كتمثيـلٍ مُحـدَّدٍ ثقافيًّـا لكميَّـاتٍ ذات قيمـة، بحيـثُ

يمكـنُ اسـتخدامُ العُملـةِ للسـعي وراء شـيءٍ تريـده، عـن طريـقِ إنفاقهـا، أو إعطائهـا، أو الاحتفـاظِ بهـا.

العملـةُ نفسـها هـي هبـةٌ جيِّـدةٌ مـن اللهِ يمكنُـك أن تُحوِّلهـا إلـى شرٍّ أو خيـر. يمكنـك إنفاقها للحصـولِ علـى شـيءٍ تُقدِّرُه، مثـلَ الطعـامِ أو هديَّـةٍ أو تذكـرة يانصيـبٍ أو عاهـرة. يمكنـك التخلِّـي عنهـا للتقـدُّمِ ببعـضِ القضايـا التـي تُقَدِّرهـا، مثـل قيـامِ شـابٍّ بالذهـاب في إرسـالية، أو للحفاظِ على سرٍّ مع شـخصٍ يرسـلُ لك رسـائلَ ابتزازٍ وتهديـد، أو عـن طريـق الحصـولِ علـى وظيفـةٍ مـن خـلالِ الرشـوة. أو يمكنـك الاحتفـاظُ بهـا لتجميـد بعـضِ رأس المـال الـذي تمتلكه، مثل تأميـنِ وديعـةٍ ماليَّـةٍ ضخمـةٍ، أو الادخـار بحكمـةٍ مـن أجـلِ الشـراءِ في المستقبلِ لتجنُّبِ الديون.

بعبـارةٍ أخـرى، يصبـحُ المـالُ — التمثيـلُ الرمـزي لكميَّـاتِ القيمـة — الـذي هـو قضيَّـة أخلاقيَّـة بسـببِ صـوابٍ أو خطـأ مـا تسـعى إليـه بهـذه الهبـةِ التـي منحـك إياهـا الله. يمكنـك السـعيُ وراء الخيـر، ويمكنـك السـعيُ وراءَ الشـر. يمكنـك اسـتخدامه لإظهـارِ أنـكَ تُقَـدِّرُ المـالَ أكثـرَ مـن المسـيح، أو يمكنـك اسـتخدامه لإظهـارِ أنـك تُقَـدِّرُ المسـيحَ أكثـرَ مـن المـال.

يعنـي هـذا أن العملـة نفسـها ليسـت هـي القضيَّـةُ التـي يجـبُ أن نتصـارعَ بشـأنها. هنـاك شـيءٌ أساسـيٌّ أكثـرُ بكثيـرٍ، شـيءٌ أعمـقُ بِكثيـرٍ مـن الثـروةِ أو الفقـرِ — أعمـقُ بكثيـرٍ مـن الجشـعِ أو الكـرم. باختصـارٍ، المـالُ هـو رمـزٌ ثقافـيٌّ نسـتخدمه لإظهـارِ مـا نُقَـدِّره.

إنـه وسـيلةٌ نظهـرُ بهـا مـكانَ كنزنـا؛ من هـو كنزنـا. إن اسـتخدامَ المالِ هـو عبـادة — إما للمسـيح أو لشـيءٍ آخر.

الجنسُ: التعريفُ والأساسُ

أعنـي بكلمـة «جنـس» تَجربةَ الإثارةِ الجنسـيَّة، أو السـعيَ للحصولِ علـى التجربـةِ، أو السـعي لإعطـاءِ تلـكَ الخِبـرة. وعندمَـا أقولُ ذلـك، أعنـي أنَّ الجنـسَ هبـةٌ جيِّـدةٌ مـن الله بـكلِّ تلكَ الطـرق. تجربـة التحفيزِ الجنسـي، أو السـعي للحصـولِ عليـه، أو السـعيُ لإعطائـه — جميعُها هِبـاتُ اللهِ الجيِّـدة، والتـي قـد نسـتمتعُ بهـا كمـا عيَّـن لهـا، أو نسـتغلها لإلحـاقِ الضـررِ بنـا فـي نهايـةِ المطاف.

ثمـة ثلاثـةُ توضيحـاتٍ بالترتيـب. أولًا، أعلـمُ أنـه يمكـنُ اسـتخدامُ كلمـة «جنسـي» علـى نطـاقٍ أوسـعَ مـن ذلـك بكثيـر. قـد يكـونُ للزوجِ والزوجـة محادثـاتٌ عميقـةٌ ورائعـة، علـى سـبيلِ المثـالِ، أو أنشـطةٌ مشـتركة، تكـونُ جنسـيَّة بالمعنـى الواسـعِ لكونهـا أُنثـى وهـو ذكـرٌ، وقـد لا تحتـوي هـذه المحادثـاتُ والأنشـطةُ علـى أي عنصـرٍ مثيـرٍ للشـهوةِ الجنسـيَّة — ولكنهـا مُحمَّلـة بشـكلٍ رائـعٍ بمتعـةٍ خفيَّـةٍ ليسـت متطابقـة، ولكنهـا مُكمِّلـة لحياتِنـا الجِنسِـيَّة. هـذا صحيـحٌ، ورَائـع. لكنـي لا أتحدَّثُ عن ذلك. تجعلُ القيودُ هذا الكتابَ مُختصرًا.

التوضيـحُ الثانـي هـو أننـي أُفكِّرُ فـي مجموعةٍ واسـعةٍ من الأنشـطةِ الجنسـيَّةِ مـن التحفيـزِ العرضـي وحتـى غيـر المقصـود إلـى التَحفيـزِ الأكثـرِ كثافـةً ونيَّـة. قـد يكـونُ لـدى الرجـلِ أفـكارٌ جنسـيَّةٌ مُعتدلـةٌ

حولَ امرأةٍ قائدةِ عبادة، بينما لا يكونُ لديها نيَّةٌ للتسبُّبِ في ذلك على الإطلاق. أو قد يكونُ لدى المرأةِ مشاعرٌ جنسيَّةٌ تجاهَ قسٍّ، وتتمنَّى أن يكونَ زوجها أكثرَ شغفًا روحيًّا، وقد لا يكونُ لدى هذا القسِّ أيَّةُ نيَّةٍ أو رغبةٍ في شيءٍ من هذا القبيل. أقومُ بتضمينِ كلِّ تلك التجاربِ فيما أعنيه بـ «الجنس».

توضيحٌ آخر. هذا يعني أن الجنسَ، كما أعنيه، قد يحدثُ عندما لا يكونُ هناكَ أيُّ تأثيرٍ جنسيٍّ على الإطلاق، لأن الشخصَ الذي يحاولُ تحفيزَ الآخرِ (على سبيل المثال، من خلالِ كيفيَّةِ تصرُّفه أو ملابسه) قد لا ينجحُ على الإطلاقِ. لذا، فبحسب تعريفي، فإنَّ «الجنسَ» سيحدثُ، لكن لا أحدَ يحصلُ على أيَّةِ متعةٍ جنسيَّة.

قد تكونُ تجربةُ التحفيزِ الجنسي نفسِها، والجهودُ للحصولِ عليها أو إعطائها، استخدامًا جيِّدًا لعطيَّةِ اللهِ الصالحة، أو مُجرَّدَ استغلالٍ أناني. ما يجعلُ الجنسَ عفيفًا أو رذيلة ليسَ المتعة، أو السعيُ (لمنحه أو الحصولِ عليه)، بل شيءٌ أعمق. هناكَ مسائلُ أساسيَّةٌ تتعلَّقُ بالخضوعِ لكلمةِ اللهِ وحالةِ القلبِ. هذا ما سنحتاجُ إلى النظرِ إليه، إذا أردنا أن نقولَ أيَّ شيءٍ مفيدٍ حولَ مخاطرَ وإمكاناتِ هذه الهبةِ الإلهيَّةِ للجنس.

السلطةُ: التعريفُ والأساسُ

السلطةُ هي القدرةُ على الحصولِ على ما تريد. قد تكمنُ السلطةُ في حقيقةِ أن لديك قوةً بدنيَّةً كبيرة؛ أو أن لديك منصبًا

في السلطةِ، مثلُ أحدِ الوالدين أو المُعلِّم أو الشرطي أو عضو الكونجرس. أو قد يكمنُ في حقيقةِ أن لديك أموالًا أكثرَ من أي شخصٍ في المجموعةِ، أو أنكَ جميلٌ جدًّا أو وسيمٌ جدًّا.

كلُّ هذه القدراتِ هي عطايا جيِّدةٌ من اللهِ. ليس لدينا أيٌّ منها فقط من خلالِ تصميمنا أو جهدنا. اللهُ هو المُعطي النهائي لها جميعًا. وكلُّ هذه القدراتِ للحصولِ على ما تريد يمكنُ استخدامُها لفعلِ الشرِّ أو لفعلِ الخير. تُظهرُ كيفيَّةَ استخدامك لقوتك مكانَ قلبك، وما تحبُّه، وما تُقدِّره أكثر — وما تعبده.

فيمَ يشتركُ المالُ والجنسُ والسلطةُ

ربما أصبحَ من الواضحِ لماذا لمَ أقُم بتصميمِ هذا الكتابِ في ثلاثةَ أقسامٍ منفصلة: واحدٍ عن المال، والتالي عن الجنس، والثالثِ عن السلطة. والسببُ هو أنها في الأساسِ — في الأصلِ — نفسُ الشيء. إنها طرقٌ لإظهارِ قيمةِ اللهِ العليا في حياتك، أو طرقٌ لإظهارِ ما تعتقدُ أنه القيمة العليا من أشياءٍ أخرى. إنَّ الطريقةَ التي تُفكِّرُ بها وتشعرُ بها وتتصرَّفُ بها حِيالَ المالِ والجنسِ والسلطةِ تعرضُ كنزَ قلبك — سواءَ كانَ اللهَ أو شيئًا صنعه.

- السلطةُ هي القدرةُ على السعي وراء ما تُقَدِّرُه.
- المالُ هو رمزٌ ثقافيٌّ يمكنُ تبادله سعيًا وراءَ ما تُقَدِّرُه.
- الجنسُ من الملذاتِ التي يُقَدِّرُها الناسُ، ويسعونَ وراءَها.

لذلك فإنَّ السلطةَ والمالَ والجنسَ كلها وسائلٌ موهوبة من الله تُظهِر ما تُقَدِّرُه. إنها (مثلُ كلِّ الواقعِ المخلوقِ في الكونِ) العطيَّةُ التي يُقدِّمها اللهُ بوصفها وسيلةٍ للعبادة — أي وسيلةٍ لتعظيمِ ما هو ذي قيمةٍ عُليا بالنسبةِ لك. إن كلَّ سلطتك، كلَّ أموالك وكلَّ ما تبذله من النشاطِ الجنسي هي هباتٌ من اللهِ لإظهارِ القيمةِ الأسمى لمجدِ اللهِ.

الانتقالُ إلى الأُسُس

يمكنك أن ترى أننا انتقلنا إلى حدٍّ ما إلى ما وراءَ التعريفاتِ، وصولًا إلى الأُسُسِ التي تكشفُ حقيقةَ المالِ والجنسِ والسلطةِ في عالمٍ محوره اللهُ مثلَ كوننا. ما نحتاجُ إلى القيامِ به الآنَ هو الذهابُ إلى الكتابِ المُقدَّس ومعرفةِ كيفَ يُوضِّحُ اللهُ ما هي هذه القضايا الأساسيَّة.

ما الذي خُلقنا، في الأساس، لنكونه؟ ما الذي خُلقنا لنفعله بالعطايا الحسنةِ من المالِ والجنسِ والسلطةِ؟ وما الذي فينا، في جذورنا، من خطأ حتى إننا بدلًا من إظهارِ قيمةِ اللهِ بمالِنا وجنسنا وسلطتنا، فإننا، بطبيعتِنا، نجعله في الواقعِ غيرَ ظاهرٍ، كما لو كانَ خالقُ كلِّ شيءٍ وداعمُه غير مهم؟ هذه هي أكبرُ إساءةٍ في العالم. جاءَ المسيحُ ليقلبَ ذلك — في حياتك، وفي هذا العالم.

ما هي حالةُ قلبِ الإنسان؟

نجدُ في رومية ١ :١٨-٢٣ وصفًا لمشكلتنا البشريَّةِ العميقةِ، وأعظمُ مجدٍ قد سقطنَا منه — المجدُ الذي يمكننا العودةُ إليه في المسيح. ينتقل الرسول بولس من أفعالِ الخطيَّةِ إلى القلبِ الذي يخطئ. إنه يُنقِّبُ من خلالِ السلوكيَّاتِ المُدمِّرةِ للقلوبِ الفاسدةِ — قلبي وقلبك:

لِأَنَّ غَضَبَ ٱللهِ مُعْلَنٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ ٱلنَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، ٱلَّذِينَ يَحْجِزُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ ٱللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لِأَنَّ ٱللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ ٱلْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ ٱلْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِٱلْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ ٱلسَّرْمَدِيَّةُ وَلَاهُوتُهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُذْرٍ. لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا ٱللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ ٱلْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ ٱللهِ ٱلَّذِي لَا يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ ٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي يَفْنَى، وَٱلطُّيُورِ، وَٱلدَّوَابِّ، وَٱلزَّحَّافَاتِ.

لنبدأ بالآية ١٨. «**لِأَنَّ غَضَبَ ٱللهِ مُعْلَنٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ ٱلنَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، ٱلَّذِينَ يَحْجِزُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْإِثْمِ**». يصفُ بولسُ البشرَ بشكلٍ عامٍّ بأنهم «فاجرون» و«آثمون». هذه هي حالتنا كلنا.

عندما ينهي بولسُ تحليله للحالة الإنسانيَّة، يُلخِّصُ في رومية ٣: ٩: «**فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلَّا ٱلْبَتَّةَ! لِأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ ٱلْيَهُودَ وَٱلْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ ٱلْخَطِيَّةِ**». نحن جميعًا في حالة «فجور» و«إثم».

وأولُ ما يقوله بولسُ عن هذه الحالةِ هو أنها تجعلُ الناسَ يحجزون الحق: «**الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ**» (١: ١٨).

هناكَ طريقةٌ أخرى لوصفِ ما يحدثُ وهي أننا نُعمي عيوننا وبصيرتنا عمدًا عن نورِ الحق. تذكَّر أنَّ موضوعَ هذا الكتابِ هو **العيشُ في النور: المالُ والجنسُ والسلطة**. العيشُ في النور. هنا في رومية ١، نرى سببَ أهميَّةِ ذلك.

تَصُدُّ الخطيَّةُ نورَ الحقِّ وتَسري في ظُلمةِ الباطل. قالَ يسوعُ إننا خُطاة، ليسَ لأننا ضَحَايا الظلمة، ولكن لأننا نُحب الظُلمة: «**إِنَّ ٱلنُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى ٱلْعَالَمِ، وَأَحَبَّ ٱلنَّاسُ ٱلظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ ٱلنُّورِ**» (يوحنا ٣: ١٩).

العلامةُ الأولى لطبيعتنا الخاطئةِ هي أنها تدفعنا أن نميلَ إلى كراهيةِ النورِ وتُمكِّنُنا من قمعِ الحق.

ماذا الذي نقمعه؟

أيُّ حقٍّ بالتحديد، أيَّ «نورٍ» تكرهُه طبيعتنا الخاطئة؟ تخبرنا الآيةُ التالية. «**إِذْ مَعْرِفَةُ ٱللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لِأَنَّ ٱللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ**»

(رومية ١: ١٩). نقمع «**مَعْرِفَةُ ٱللهِ**». معرفةُ اللهِ بغيضة لطبيعتنا الخاطئة. أعمقُ ما في مشكلتنا ليسَ الجهل. تقول الآية ١٩: «**مَعْرِفَةُ ٱللهِ ظَاهِرَةٌ**». أعمقُ ما في مشكلتنا هي أننا نثورُ على معرفةِ الله. إنها مُسيئة إلينا. إنها تُقوِّضُ استقلالنا وانفرادنا بذواتنا.

ونرى الأمرَ مرةً أخرى في الآية ٢٠ — ليستْ مشكلتُنا الأعمقُ أننا نجهلُ الله: «**لِأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ ٱلْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ ٱلْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِٱلْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ ٱلسَّرْمَدِيَّةُ وَلَاهُوتُهُ**». ومرة أخرى، في الآية ٢١: «**لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا ٱللهَ...**» مشكلتنا ليست الجهل. مشكلتنا هي أننا في إثمنا نقمعُ الحقَّ. نكرهُ النورَ ونحبُّ الظلمة فلا نريدُ أن نسيرَ في نورِ الحق.

لذلك في نهاية الآية ٢٠، يقولُ بولسُ: «إِنَّهُمْ بِلَا عُذْرٍ». لماذا؟ تُقدِّم الآية ٢١ الإجابة التي تصلُ إلى أصلِ المشكلة: «**لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا ٱللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلَهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ ٱلْغَبِيُّ**». لم نُمجِّده كالله ولم نشكره. لقد اخترنا ظلمةَ تمجيدِ الإنسانِ على تعظيمِ اللهِ. هذا ما نفعلهُ بالطبيعة.

لا تحبُّ قلوبنا الخاطئةُ أن تُمجِّد الله — أن نعتز باللهِ على أنه مجيدٌ، ونفرحُ ونبتهجُ باللهِ على أنه جميلٌ للغاية، ونظهرُ اللهَ عَلى أنه كنزنا الأعظم. إن قلوبنا الخاطئة لا تريدُ أن تعتزَّ باللهِ على أنَّه مجيدٌ وأن تشكره على كلِّ شيء.

هـذا مـا تعنيـه لفظـةِ «**فاجِـر**» فـي الآيـة ١٨ («**غَضَـبَ ٱللهِ مُعْلَـنٌ مِـنَ ٱلسَّـمَاءِ عَلَـى جَمِيـعِ فُجُـورِ ٱلنَّـاسِ**»). فـي «فجورِنـا» نفعـلُ مـا يفعلـه الفجـورُ — إنـه يكبـحُ حقيقـةَ أن اللهَ يجـبُ أن يُعتَـزَّ بـه باعتبـاره مجيـدًا وكريمًـا للغايـة. إن طبيعتنـا الخاطئـة تكـرهُ نـورَ سـيادةِ اللهِ وتَجـري إلـى الظلمـةِ، حيـثُ نشـعرُ بالسـمو.

عندمـا يُقمَـعُ الحـقُّ ويُحجَـبُ النـورُ ويتـم تجاهُـل مجـد الله، فـإن شـيئًا آخـرَ دائمًـا مـا يحـلُّ محلَّـه. يكـرهُ قلـبُ الإنسـانِ الفـراغ. نحـنُ لا نتـركُ اللهَ أبـدًا فقـط لأننـا لا نُقـدِّرُه كثيـرًا؛ نحـنُ دائمـا نستبدلُ اللهَ بمـا نُقَـدِّرَه أكثـر. ونـرى هـذا فـي الآيـاتِ ٢٢-٢٣: «**وَبَيْنَمَـا هُـمْ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُـمْ حُكَمَـاءُ صَـارُوا جُهَـلَاءَ، وَأَبْدَلُـوا مَجْـدَ ٱللهِ ٱلَّـذِي لَا يَفْنَـى بِشِـبْهِ صُـورَةِ ٱلْإِنْسَـانِ**». أصبحـوا حمقـى. هـذه هـي الحماقـةُ المطلقـة. هـذا هـو المعنـى الأساسـي للخطيَّـة: اسـتبدالُ مجـدِ الإلـه السـرمدي بالبدائـل — بـأي شـيءٍ نُقَـدِّرُه أكثـرَ مـنَ اللهِ. إذا كان لديـكَ آذانٌ لتسـمع، فيجـبُ أن يبـدوَ هذا مثـلُ الغبـاءِ المُطلَـقِ والإهانة المُطلَقة — أننـا نعتبـرُ اللهَ، ونرفضـه باعتبـارِه كنزنا الأسـمى، ونقصيه بعيدًا. ننظـرُ إلـى الخالـقِ ثُـمَّ نسـتبدله بشـيءٍ خلقـه.

تحـتَ كلِّ إسـاءةِ اسـتخدامِ للمـالِ والجنـسِ والسـلطةِ توجـدُ حالـةُ القلـبِ الخاطئـة — هـذا هـو الفسـادُ. تعريفـي للخطيَّـة، بنـاءً علـى هـذا المقطـعِ فـي روميـة ١، هـو: الخطيَّة هـي أيُّ شـعورٍ أو فكرٍ أو فعـلٍ يأتـي مـن قلـبٍ لا يُقـدِّرُ اللهَ علـى كلِّ الأشـياءِ الأخـرى. إن قاعَ الخطيَّـة، وأصـلُ كلِّ الخطايـا، هـو مثـلُ هـذا القلـبِ — القلـبِ الـذي

يُفضِّـلُ أيَّ شـيءٍ علـى الله. قلـبٌ لا يعتـزُّ بـاللهِ علـى كلِّ شـيءٍ آخـرَ وكلِّ شـخصٍ آخـر.

عميقةٌ وواسعةُ الانتشارِ

الخطيَّـةُ هـي أعمـقُ وأقـوى وأكبـرُ مشـكلةٍ فـي الجنـسِ البشـري. فـي الواقـعِ، بمُجـرَّدِ أنْ وضَّـح بولـسُ جوهـرَ أو جـذرَ الخطيَّـةِ فـي روميـة ١ - ٣، فإنـه يتابـعُ ليُوضِّـحَ فـي الأصحاحـاتِ التاليـةِ حجـمَ قوتهـا فينـا. يتكلَّـمُ عـن مُلـكِ الخطيَّـةِ مثـلَ مَلِـكٍ فـي المـوت (٥: ٢١)؛ تسـودُ مثـلَ سـيِّدٍ (٦: ١٤)؛ تسـتعبدنا لنصيـرَ عبيدهـا (٦: ٦، ١٦-١٧، ٢٠)، فنَحنُ مَبيعونَ لها (٧: ١٤)؛ هي مثلُ قوةٍ تنتجُ خطايـا أخـرى (٧: ٨)؛ قـوةٌ تسـتولي علـى النامـوسِ وتقتلُ (٧: ١١)؛ هـي مثـلَ مُسـتأجرٍ مُحتـلٍّ مُعَـادٍ يسـكن فينـا (٧: ١٧، ٢٠)؛ ومثلَ ناموسٍ يأخذنا أسرى (٧: ٢٣).

كلُّ حقيقـةِ الخطيَّـةِ العميقةِ والقويَّةِ والمنتشـرةِ فينـا تُحدِّدنا وتماهينا، حتـى نُولَـدُ مـن جديـدٍ. يجـبُ أن تحـدثَ تلـك المعجـزة، وإلَّا اسـتمرَّ هـذا العـداءُ العميـقُ تجـاهَ اللهِ فـي السـيطرةِ علينـا وتوجيهنـا إلـى الأبدِ. عبَّـر يسـوع عـن الأمـر بهـذه الطريقـة: «**اَلْمَوْلُـودُ مِـنَ ٱلْجَسَـدِ جَسَـدٌ هُـوَ، وَٱلْمَوْلُـودُ مِـنَ ٱلـرُّوحِ هُـوَ رُوحٌ. لَا تَتَعَجَّـبْ أَنِّـي قُلْتُ لَـكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَـدُوا مِـنْ فَـوْقُ**» (يوحنـا ٣: ٦-٧). بحكـمِ ولادتنـا الأولـى، نحـنُ مُجـرَّد جسـدٍ — أي أننـا محرومـونَ مـن روحِ اللهِ وحياتِـه. ولكـن عندمـا «نُولَـدُ مـن الـروح»، يمنحنـا روحُ اللهِ الحيـاةَ الروحيَّـةَ وينتقلُ إلينـا، ونعيـشُ فيـه إلـى الأبـد.

تأتي تلك الحياةُ بنورِ الحقِّ. «**كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ ٱلْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي ٱلظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ ٱلْحَيَاةِ»**» (يوحنا ٨ :١٢). الحياة الأبديَّة والنورُ الحقيقي دائمًا معًا. نحنُ «نعيشُ في النور» عندما يعطينا الروحُ الحياة.

للتأكيدِ على العبوديَّةِ الجادةِ التي نعيشها قبلَ هذه الولادةِ الجديدة، يواصلُ بولسُ القولَ في رسالةِ رومية: «**لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ**» (٧: ١٨). ما نكونه نحنُ بمعزل عن الولادة الجديدة — عن خلقٍ جديدٍ من روحِ اللهِ بسببِ المسيح — هو تجسيدٌ لمقاومةِ الله. «**ٱهْتِمَامَ ٱلْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ لِلّٰهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ ٱللهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ**» (٨: ٧). لماذا لا يستطيعُ ذلك؟ لأنه لا يريدُ ذلك. نحن لا نوافقُ على اللهِ باعتبارِه الأسمى (١: ٢٨)، بل نستبدلُه، لأننا نُفضِّلُ عليه أشياءَ أخرى أكثر.

لذلك يجبُ أن نستبعدَ إلى الأبدِ فكرةَ أنَّ خطايانا في الأساس ما نفعله. ليسَ الأمرُ كذلك: إنها في الأساس ما نحنُ عليه — حتى نصبحَ مخلوقاتٍ جديدة في المسيح. وحتى في هذه الحالةِ، فإنها عدوٌّ دائمُ الوجودِ يُماتُ كلَّ يومٍ بواسطةِ الروحِ القدس (٧: ١٧، ٢٠، ٢٣؛ ٨: ١٣).

قبلَ المسيحِ، ليستْ الخطيَّةُ قوةً غريبةً فينا. الخطيَّةُ هي تفضيلُنا لأي شيءٍ على الله. الخطيَّةُ هي عدمُ رضانا عن الله. الخطيَّةُ هي استبدالنا لمجده بالبدائل. الخطيَّةُ هي قمعُنا لحقِّ الله. الخطيَّةُ

هي عداءُ قلبنا لله. هذا هو ما نحنُ عليه في عُمقِ أعماقِ قلوبنا — حتى يُدركنا المسيحُ.

في مقابلِ هذا الوصفِ الكئيبِ لجذرِ مشكلتنا في التعاملِ مع المالِ والجنسِ والسلطة، ما يتَّضحُ أيضًا هو أن هذا التشويهَ لنفوسنا ليس ما خُلقنا لنكونه. كان من المفترضِ أنْ نعرفَ اللهَ وأن نُمجِّده ونشكرَه (١: ١٩-٢١). كان من المفترضِ أن نراه، ومن خلال رؤيته، نعكسُ جماله. كان علينا أن نفعلَ ذلك ليس من خلال مبادلته بشيء، ولكن من خلالِ تفضيله على كلِّ شيء. كان علينا أن نُمجِّدَ اللهَ بأن نعتزَّ به على كلِّ الكنوز، ونستمتعَ به على كلِّ الملذات، ونرغبَ فيه على كل الرغباتِ، ونعتبرُه المكافأة التي تفوقُ كلَّ الجوائز، ونحتاجُه فوقَ كلِّ عوزٍ واحتياج.

حالتانِ ممكنتان

هاتانِ هما الحالتانِ الرئيسيتانِ في حياةِ الإنسانِ: القلبُ الذي يُقدِّرُ اللهَ أكثرَ منَ الجميعِ، أو يُقدِّرُ شيئًا آخرَ أكثرَ. قلبٌ فَرِحٌ ومبتهجٌ في نورِ قيمةِ اللهِ العُليا، والقلبُ الآخر سعيدٌ بالظلام، يداعِبُ صورَ الشيءِ الحقيقي، معتقدًا أننا وجدنا كنزًا عظيمًا. إن علامةَ المسيحي الحقيقي ليست أن الخطيَّة لا تُغلَبُ أبدًا — وليسَ أن رغباتنا هي إلهيَّةٌ لا تشوبها شائبة. علامةُ المسيحي هي أن أساسَ حياتنا هو هذا الاعتزازُ الجديدُ باللهِ وتفضيله على كلِّ الأشياء، كما التقينا به في يسوعَ المسيح. لقد احتلَّ

مكانًا في قلوبنا يسحبنا مرارًا وتكرارًا لتجديدِ أمانتنا له باعتباره الأسمى. اكتشفَ المسيحيُّونَ أنَّ الروحَ القدس الساكنَ فينا يُعظِّمُ قيمةَ يسوعَ فوقَ كلِّ شيء، ويدفعنا إلى التوبةِ عندما نفشلُ في الشعورِ بهذه القيمةِ كما ينبغي. «**إِنِ ٱعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**» (١ يوحنا ١: ٩).

المالُ والجنسُ والسلطةُ ثلاثُ عطايا جيِّدة من اللهِ. في الفصولِ الثلاثةِ التالية، سنرى أنَّه يمكننا استخدامها للكشفِ عن قلبِ الظلامِ، أو الكشفِ عن قلبٍ من نور. وبفعلنا ذلك، سنكشفُ حقيقةَ جمالِ اللهِ الأسمى وقيمته، أو سنصوِّره على أنَّه غيرُ ملائمٍ لرغبةِ نفوسنا. يمكن أن يكونَ لدينا قلبٌ يُقدِّرُ هذا العالمَ فوقَ اللهِ، أو قلبٌ يُقدِّرُ اللهَ فوقَ هذا العَالم. وبِالتالي يمكننا أنْ نُمجِّدَ اللهَ باعتباره مُرْضيًا بالكامل، أو نُشوِّهَ سُمعتَه على أنه أدنى من الأَشياءِ التي صنعها. يمكننا أن نعيشَ في النورِ أو في الظلام.

٢

مخاطرُ الجنسِ المُدمِّرة للمتعة

عندما أرادَ الشيطانُ تدميرَ متعةِ آدمَ وحواءَ الفائقةَ في التمتُّع بصداقةِ اللهِ دون وجود الخطيَّة، لم يُقدِّم لهما واجبًا، بل بهجةً.

لقد رأيا أنَّ الشجرةَ التي منعهما اللهُ من الأكلِ منها كانت «**جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ**» — فأخذا من ثمرها وأكلا (تكوين ٣ :٦). كان الطريقُ إلى تدميرِ متعتهم «جيِّد» و«بهيج» و«شهي». وكانت حيلةُ الشيطانِ هي جَعْلُ الثمرةِ تبدو مرغوبةً أكثرَ من الله. ونجحت خطَّتُه.

اللذَّةُ الجنسيَّةُ مُحرَّمةٌ كبديلٍ عن اللذَّةِ باللهِ. هذه هي الطريقةُ لمعرفةِ علاقتها بالشجرةِ في جنَّةِ عدن. يجبُ أن يُعتزَّ باللهِ فوقَ اللذَّةِ الجنسيَّة، وأن يتم تذوُّقه في اللذَّةِ الجنسيَّة. إن المسرَّاتِ والأهواءَ والنشوةَ التي يصنعها اللهُ في الجماعِ الجنسي في الزواجِ هي أنواعُ اللذَّةِ التي تصوَّرها اللهُ بنفسه وخلقها والتي تأتي منه.